تأصيل الهوية المحلية وتأثيرها على العمارة المعاصرة بالمملكة العربيةالسعودية "دراسة حالة: مكة المكرمة"

محمد وهبة ابراهيم، محمد عاطف الهامى
كلية الهندسة والعمارة الاسلامية - جامعة أم القرى

Traditional Identity Rooting and its impacts on the Contemporary Architecture in Kingdom of Saudi Arabia "Makkah Al-Mukaramah as a case study"

Mohamed Wahba Ibrahim, Mohamed Atef Elhamy
College of Engineering and Islamic Architecture, Umm AlQura University

ملخص البحث (Abstract):

انطلاقاً من حرص المملكة العربية السعودية على التنمية المستدامة نحو تحقيق الرؤية الطموحة للمملكة عام ٢٠٣٠ ومنها الرؤية المعمارية وخاصة لمدينة مكة المكرمة لما لها من أهمية بالغة عند كافة المسلمين والتى يجب أن تحتفظ بكيانها بين جميع المدن الإسلامية في شتى المجالات ، ومنها المجال العمراني والمعماري ، لذا وجب الحفاظ على هويتها الخاصة وطابعها المعمارى الذي يميزها عن غيرها من المدن وهذا ما كانت عليه سابقاً وطوال الفترات الزمنية المتعاقبة ، وبالرغم من اهتمام العديد من الابحاث بدراسة التراث المعماري المكي الأصيل ،ولكن لم تتطرق هذه الدراسات بكيفية استرداد الطابع المعمارى لشخصيته ، وإعادة بناء مقوماته الحضارية ، والحفاظ على الثقافة والتقاليد المكية المتأصلة فيها ؛ وذلك في البيئة العمرانية المعاصرة ، ومن هنا تظهر مشكلة الدراسة فى ظهور بيئة عمرانية معاصرة بمكة المكرمة تفتقد الهوية البيئة العمرانية والمعمارية المكية التقليدية الأصيلة بسبب التحولات الفكرية المعمارية الوافدة ، ولذلك يهدف البحث الى دراسة البيئة العمرانية والمعمارية المكية التقليدية ، والاهتمام بالبيئة المحيطة التي تشكل فيها الماضي ومن ثم تقديم تفسير لما آل إليه الوضع الراهن مع وضع فى الاعتبار إمكانية ترسيخ البيئة العمرانية المكية المعاصرة لما لها من أصالة الماضي ومعطيات ومقومات المستقبل، ومنها يتحقق فرضية البحث والتى تفترض أنه اذا تم احياء المفردات المعمارية التقليدية والمحلية فسوف يتأصل الطابع العام للمدينة فى عمارتها المعاصرة وخاصة ما يحيط بالحرم المكى من مبانى والحفاظ على هويتها ،وينتهج البحث المنهج الوصفى والوصفى التحليلى المقارن ، لتفعيل مفردات العمارة الإسلامية في إطار معاصر لتفتح الطريق لإحياء هذه المفردات وتماشيها مع متطلبات العصر لتواكب تعدد إستعمالات المبانى ، ويخلص البحث لمجموعة من النتائج والاستنتاجات الهامة مفداها الوصول الى معايير الحفاظ على الهوية المعمارية خاصة حول الحرم المكى، إلى جانب التوصيات الخاصة بالحفاظ على القيم التراثية وضمان إحيائها وإستمراريتها وإستدامتها.

الكلمات المفتاحية: التأصيل والمعاصرة - الحفاظ - الهوية الاسلامية - التنمية المستدامة - احياء المفردات التراثية - الطابع المعمارى

Throughout Kingdom of Saudi Arabia plan on sustainable development towards achieving the ambitious vision of KSA in 2030, including the architectural vision and especially urban space in Makkah which is of great importance to all Muslims; therefore, it must preserve its uniqueness among all Islamic cities in various fields, including the urban and architectural field. Therefore, it must preserve its own identity and architectural character that distinguishes it from others.

Hence the problem of the study is the emergence of a contemporary urban environment in Makkah which lacks the original identity of the traditional architectural and architectural environment of Makkah, because of the changes of intellectual architecture. Therefore, the research aims studying the traditional Makkah urban design and architecture, also focusing on the surrounding environment in which was formed in the past, Hence, the current state of affairs is explained with regard to the possibility of establishing the modern Makkah architectural environment, which has the originality of the past and the future, The research hypothesis assumes that if the traditional and local architectural vocabulary is revived, the general character of the city will be rooted in its contemporary architecture, especially the surrounds of the Holy Mosque in Makkah and the preservation of its identity. The research will follow the comparative descriptive and descriptive method, The research hypothesis assumes that if the traditional and local architectural vocabulary is revived, the general character of the city will be rooted in its contemporary architecture, especially the surrounds of Masjid Al-Haram in Makkah. The research will follow the comparative descriptive and descriptive approach, to active the vocabulary of Islamic architecture in a contemporary design for the revival of these items in order to implement the contemporary requirements, and keep pace with the versatility of the buildings that surround the Masjid Al-Haram in Makkah, As well as conservation recommendations , revival , continuity and sustainability of the heritage values.

key words: Rooting and Contemporary - Preservation - Islamic Identity - Sustainable Development - Revival of heritage vocabulary - Architectural Character

المقدمة:

عندما نتحدث عن الهوية المعمارية، فإننا بالتأكيد نتحدث عن هوية الشعوب أو هوية المواطن أو متلقي العمارة وهو صاحب صناعة تلك الهوية، ولقد شكلت الهوية عبر التاريخ أحد الإحتياجات الرئيسية للإنسان، فالهوية فى العمارة هى مجموعة من السمات التى نستطيع بها أن نميز مكان وزمان عن الاخر فالهوية مفهوم متبلور فى العمارة من خلال الشكل وخصائصة (الجادرجى، ١٩٩٥) ، غير إن جدل النقاد حولها ربط فكرة الهوية العمرانية بالعمارة التقليدية القديمة وحس المكان (Jencks,1997)، ويستند هؤلاء النقاد في ذلك على إن هذه العمائر التقليدية أظهرت نمطاً معمارياً متميزاً ارتبط بالزمان والمكان الذي ظهر فيه وعكس إمكانيات المجتمع، والهوية المعمارية يمكن رؤيتها كنتاج معماري لإبداعات فنية، وصياغة علاقة الانسان بالمحيط والموارد المتاحة وذاكرته ببعده التاريخي والحضاري والبيئي(Correa, 1990) ، وخلال القرن العشرين حاول الكثير من المعمارين نبذ الماضي والتنصل منه وتبني نموذج الحداثة مما تسبب في التجريد عن الأبعاد التاريخية والثقافية والاجتماعية العريقة مع محاولاتهم تحقيق رؤى "مبتكرة" تتماشي وروح العصر الجديد في تلك الفترة مما أوجد نموذجاً جديداً من المعمار تمثل في النظام العمراني العالمي فاقداً لهوية المكان، و لم تسلم مكة المكرمة من هجمة الحداثة فى العمارة ذات التوجهه العالمى من واجهات زجاجية لا تتلائم مع مناخ أو هوية المكان ولكن ظهر محاولات لتأصيل الهوية نجح بعضها وفشل البعض الاخر مما استوجب القاء الضوء وحصر وتصنيف لهذه المحاولات.

أهداف البحث:

وهذا البحث يمثل محاولة للإجابة على سؤال هام ومحوري وهو: هل توجد معايير للحفاظ على هوية العمارة السعودية؟ وذلك بغرض التأكيد على الهوية المحلية لها وعدم طمسها أو إذابتها، وللإجابة فإنه تم صياغة وتحديد عدد من الأهداف المحددة لهذا البحث وهي:

- تعريف الهوية ومن ثم التعرف على ما هي العوامل التي أثرت عليها، والعلاقة المتبادلة بين الهوية والعمارة.
- التعرف على هوية العمارة المحلية بالمملكة وخاصة هوية مدينة مكة المكرمة.
- تصنيف هوية المحاولات المعاصرة لتأصيل الهوية بالعمارة المكية وخاصة ما يحيط بالحرم المكى لتحقيق فرضية البحث: "إذا ما تم وضع معايير واستراتيجية لاستخدام مفردات هوية التراث العمرانى والمعمارى سيتم تأصيل والحفاظ على إستمرارية الهوية للمحيط الحضرى للمدينة ذات الهوية الاسلامية وخاصة مكة المكرمة".

منهجية وطرق البحث: اعتمدت منهجية البحث لتحقيق الأهداف السابقة على الآتي:

- المنهج الوصفى من خلال وصف العمارة المحلية وهويتها وطابعها المعمارى والعمرانى.
- المنهج التحليلى بتحليل العوامل التي أثرت على هوية العمارة ، وتحليل لأنماطها السائدة بالمملكة.
- المنهج التحليلى المقارن من خلال تحليل هوية العمارة القديمة ومقارنتها مع المعاصرة.
- المنهج التطبيقى من خلال الدراسة الميدانية للمحيط الحضرى للحرم المكى وتصنيف المحاولات المعاصرة لتأصيل الهوية.

المحور الاول : الهوية المحلية كمحصلة لحركة المجتمع على مدى العمق الزماني:

إن كلمة الهوية identity بمفهومها الأيديولوجى يتم التعبير عنها من خلال القومية أو الدين والعادات والتقاليد، ولها وظيفة تلقائية وهى حماية المفهوم الجماعى والذاتية المجتمعية، فقد خلقنا الله من ذكر وأنثى "الهوية الانسانية"، وجعلناكم شعوبا "الهوية الثقافية"، وقبائل "هوية اجتماعية"، لتعارفوا "الهوية الشخصية"

١/١ الهوية تعبيراً عن الثقافة: أ/ البعد المادى للثقافة: العلوم والمعرفة والفنون والانشطة الابداعية.

ب/ البعد الغير مادى للثقافة: مثل العادات والتقاليد والاعراف واللغة والفكر الدينى والعقائدى.

٢/١ تأصيل التراث : والتأصيل هو تثبيت أصل الشيء وترسيخه وتقويته تمهيداً للبناء عليه وتكثيره ، أي ربط الشيء بأصله ربطاً قوياً لإتاحة البناء عليه ومفهوم التأصيل في مجال البحث : هو الاستفادة من القيم الأصيلة ، وما تكتنزه من فكر وراء تلك الحلول المعمارية الناجحة ، والتي ساهمت بالفعل في التوفيق بين متطلبات الإنسان في ذلك العصر ومعطيات البيئة الطبيعية ، والرجوع أيضاً إلى الأصل والمنشأ وهو تسجيل صادق للمجتمع وثقافته ورصيد ومخزون للعادات والتقاليد ومردودها على المبانى ويجمع القيمة الروحية والجمالية بالاضافة الى كونها حقيقة مادية ملموسة وتسجيلا صادقاً لثقافة المجتمع ووحدة منهجة وملامحة الانسانية والفكرية عبر العصور المختلفة.

٣/١ انواع الهويــة :

١/٣/١ الهوية الشخصية: وهى هوية الفرد داخل الجماعة.

٢/٣/١ الهوية الجماعية: وهى التى تخلق التنوع بين المجتمعات المختلفة، ولكل مجتمع وجماعة هويتها التى تعبر عن خصوصيتها وتميزها عن مجتمع أو جماعة أخرى.

٣/٣/١ الهوية الحسية الفردية: وهى تعبر عن الكيفية التى يرى بها الشخص ماحوله وإدراكه تبعا لرؤيته الشخصية. (جوابرة،٢٠٠١)

٤/٣/١ الهوية الحسية الجماعية: وهى تعكس ماتعنيه الجماعة من موروثات لها معانى ضمنية عميقة.

٥/٣/١ الهوية المعمارية: وهى المستوى الشامل والمتكامل للربط بين كيان المجتمع وتشكيله لمبناه وما يميزه من مفردات معمارية تنبع من البيئة المحيطة، وإنعكاس هويتها على العمارة والفنون والتراث، وتستمر هوية العمارة بإستمرار وتتطور الحضارة، وتنهض بنهوضها وتتفكك بتفككها، ويمكن التعبير عن الهوية بممارسة مجتمعية تفرز مجموعة من الرموز والدلالات التي تدخل الحيز الثقافي بما يرقى لأن يعبر عن ماضي المجتمع ويصبح ملازماً ودالاً على هويته (الهنسي ، ١٩٩٨)، فمصنع الهوية لأى مكان هو الممارسات اليومية التي تجري ضمن دوائر الثقافة والإبداع به، وهذه تقوم بدورها بإنتاج مجموعات من الدلالات والرموز والتي تتطور زمنيا من خلال المجتمع لتصبح دالة ومؤشراً على هويتها، وفي هذه الحالة يمكن تعريف النمط أو الطراز، فالأول يعنى بالجوهر، والثاني معني بالشكل أكثر من المضمون، ومما لاشك فيه فإن فقدان الهوية قد حدث بين ثقافتنا الحالية وبين تاريخنا الحضاري مما أورث جهلاً بالتراث ورفضًا له، وحققت فرصاً لتسرب الثقافات الوافدة التي غيرت شكل الثقافة وعبثت بجوهرها، وهكذا أصبحنا غرباء في مدننا التي تجردت عن هويتها الأصلية، وأصبحنا في بيئة هجينة غيرت من عاداتنا ومن أذواقنا وثقافتنا. (الهنسي ، ١٩٩٨)

٦/٣/١ الهوية العمرانية: وهى الاطار الشامل للمدينة بمخططاتها وشوارعها وفراغتها والتى تعطيها الطابع المميز لها وهو انعكاس لمجتمع المدينة، وتنقسم الهوية العمرانية الى (هوية غير موجهه) و (هوية موجهه).

أ- الهوية (التلقائية) الغير موجهه: وهى التى تنشأ فى المجتمعات التلقائية او التقليدية وتتآلف أفكارهم نتيجة لعادات وتقاليد تجمعهم وينطبع على مبانيهم وشوارعهم وأحيائهم أفكار خاصة بهم دون تدخل أى جهه حكومية أو رسمية، مما ينتج عنها لغة تشكيل معمارى لها طابع مميز لشخصية المكان وثقافة الجماعة.

ب - الهوية (المدروسة) الموجهه: وهى التصميم المبتكر لتقليد الهوية السائدة بالمكان وقد تكمل الصورة البصرية للمدينة وتعبر عن سياق مؤسسي أو حكومى، وقد تنجح فى تحقيق الانطباعات التراثية وإيصال المعنى المطلوب، وقد تحقق الهدف البصرى ولكن قد لاتحقق الهدف الوظيفى. (Jencks,1997)

المحور الثانى : العوامل المؤثرة على تغير الهوية المحلية وعلاقتها بالعمران:

١/٢ العوامل الخارجية: مثل الخلط والاحتكاك و التداخل الثقافى وإستخدام طرق ومواد البناء الحديثة والتكنولوجيا بشكل خاطئ، وإختلاف استعمالات المبانى، وتدخل رأس المال الخارجى لتطوير المنطقة دون الوضع فى الإعتبار لثقافة المجتمع، وكذلك تدخل الحكومات لجعل المناطق ذات الهوية مناطق سياحية تراثية، مما أفقد السكان قدرتهم على الاحلال والتجديد، فتكون المدينة في شكلها التقليدى والتراثى بإستمرار هي التعبير الثقافي للمجتمع وجاذبه له، وتصبح اليوم أصبحت طارده لسكانها. (ابراهيم،١٩٨٧)

٢/٢ العوامل الداخلية: وتظهر فى الرغبة الداخلية لدى ساكنى المناطق التقليدية الطابع وذات الهوية فى التطور والخروج من بوتقة التراث والانسلاخ من الماضى وملاحقة العصر، فالمناطق الحديثة ذات شوارع متسعة وأبنية عالية حديثة ، كل ذلك يمثل "الجديد" بشكل أو بآخر أما المناطق التقليدية فبالنسيج العمراني العضوي التقليدي بأنماط من شوارع ضيقة وأبنية صغيرة حيث يمثل "القديم"، ويضاف إلى هذا كله انتهاء العمر الافتراضى للمبانى القديمة وانهيار اغلبها مما يؤدى إلى الرغبة الملحة للتغيير.

٣/٢ العلاقات التبادلية بين الهوية والعمران:

يعتبر العمران سجل لثقافة وهوية المجتمعات، فالنتاج البنائي من عمارة وعمران يتأثر بالثقافة ويؤثر عليها ، فالإنسان يتأثر بالبيئة العمرانية المتواجد فيها مادياً ومعنوياً، وليس الطابع المعمارى والعمراني إلا انعكاس وتجسيد وتسجيل مرئي للحوار بين ثقافة الإنسان أو الجماعة والبيئة العمرانية، فالبيئة العمرانية وتصميمها يتأثران بالقيم الإجتماعية والثقافية للمجتمع والعكس صحيح. (Fadan,1983)

١/٣/٢ تأثير العمران على الهوية: قد يكون العمران وسيلة للحفاظ على ملامح وتمايز المجتمعات ، وقد يكون وسيلة لتغير هوية المجتمع، كما يحدث عند استيراد الطرز الغريبة في العمارة دون وعى كاف مما يكون له الأثر في تغير الملامح الثقافية للمجتمع.-Al) Naim, 1998)

٢/٣/٢ تأثير الهوية على تشكيل العمران: تعتبر الهوية بمستوياتها المادية وغير المادية من أهم عناصر تشكيل العمران، حيث يساهم مستوى العلوم والمعارف في تحديد تقنية وأسلوب البناء ومواد البناء المستخدمة، كما يساهم مستوى العادات والتقاليد في تحديد الأعراف وتحقيق التجانس العمراني، أما على مستوي العقائد والدين فإنه يساهم في استخدام عناصر معمارية لها دلالات رمزية وزخارف معينة، ومن هنا أمكن تجميع أهم السمات والخواص والملامح المعمارية والتى شكلت هوية المبانى فى المدينة الاسلامية ويمكن حصرها فى تلك العناصر التى ظهرت بالفطرة والدراسة عبر مئات السنين. (ذنون،٢٠١٠)

المحور الثالث: الاتجاهات الفكرية للحفاظ على الهوية فى القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين

يمكن استنتاج الاتجاهات الفكرية للحفاظ على هوية العمارة الاسلامية فى العصر الحديث ومحاولات التأصيل والمعاصرة من خلال تحليل أعمال كثير من المعماريين الذين حاولوا إحياء وتحسين والحفاظ على هويتهم العربية والاسلامية ، وحتى يتم التوفيق في الوصول للنظرية المعمارية المحلية دون التبعية يجب أن يتم تحريرنا من التبعية الفكرية والتطبيقية الغربية ويعيدنا إلى القدرة الحقيقية التي تكمن في مجتمعاتنا وتراثنا لإيجاد فكر ينبع من تراثنا وعالميته من خلال الحفاظ على هويته كما يلى : شكل(١) (الباحثان،٢٠١٧)

١/٣ اولا: اتجاه العمارة ذات الهوية المحلية :

أ) الإتجاه المحلى الاحيائى: ويتميز بشخصية محلية نابعة من من البناء بالمواد الطبيعية المتوفرة ومحاكاة المفردات والبناء بالمواد الطبيعية واستخدام طرق ومواد بناء تقليدية. (الباحثان،٢٠١٧)

ب) الإتجاه المحلى المحسن: يتميز بمحاكاة المفردات ومواد البناء مع صياغتها بطريقة مبسطة مع الالتزام بطريقة الانشاء التقليدية.

٢/٣ ثانيا إتجاة العمارة ذات الهوية التقليدية:

أ) الاتجاه التقليدى المحافظ: يتميز بالالتزام بمحاكاة المفردات المعمارية الموروثة عن الماضى مع صياغتها وتحسينها بطريقة مبسطة ، مع عدم التقيد بمواد وطرق الانشاء القديمة.

ب) الاتجاه التقليدى الجديد: يتميز بعدم استخدام مفردات منقولة حرفيا عن الماضي وتصميم تركيبات تشكيلية مبتكرة، مع زيادة تبسيط المفردات، وإستخدام مواد وطرق إنشاء حديثة.

٣/٣ ثالثاً: إتجاه العمارة ذات الهوية المعاصرة: يتميز هذا الاتجاه باستلهام روح العمارة الاسلامية والمحلية مع ربطها بأحدث مواد ووسائل التشييد، وينقسم الإتجاه نحو المعاصرة الى: (الباحثان،٢٠١٧)

أ) اتجاه المعاصرة مع الانتماء تاريخياً: يتميز هذا الاتجاه باستلهام بعض ملامح المفردات التاريخية الاسلامية بشكل تجريدى مع المحافظة على القيم المعمارية للعمارة الاسلامية.

ب) اتجاه المعاصرة مع الانتماء محلياً: يتميز بإستلهام روح العمارة المحلية والتقليدية والبحث عن تعبير معمارى حديث يجيب متطلبات الحياة العصرية. (الباحثان،٢٠١٧)

ج) اتجاه المعاصرة الرمزية: يتميز بالبحث عن فلسفة تعبيرية رمزية تجيب متطلبات المبنى وتخرج عن مفهوم العمارة التقليدية وتتبنى مفردات محدثة ورمزية والتجرد من الزخارف وربطها بأحدث مواد ووسائل التشييد.

٤/٣ سمات وملامح المفردات المحلية ذات التأثير على الهوية المحلية على العمارة وطبيعة وظيفتها: شكل (٢)

- متعلقة بالجانب الحضرى والساحات الخارجية. - متعلقة بالعناصر والمكونات المعمارية.
- متعلقة بالمعالجات المناخية والاجتماعية. - متعلقة بالجانب الانشائى. - متعلقة بالجانب الايحائى والدلالى .

المحور الرابع : الهوية المحلية في المملكة العربية السعودية:

١/٤ هوية المناطق المختلفة بالمملكة : حيث تتسم المناطق المختلفة بالمملكة بعدة عوامل ساهمت في وجودها حيث تميزت بسمات وملامح مميزة للعمارة المحلية في كل منطقة من مناطق المملكة: شكل(٣)

- هوية المنطقة الوسطى (المناخ الحار الجاف) : يمتاز طراز وهوية التراث المعماري في المنطقة الوسطى بإستخدام مواد البناء المحلية وأهمها الطين إذ يمكن أن توصف هوية العمارة في هذه المنطقة بالعمارة الطينية، كما أن المباني متلاصقة وذات أفنية داخلية والممرات ضيقة والفتحات الخارجية قليلة مع تقارب المباني تماشياً مع الظروف المناخية للمنطقة.

- المنطقة الشمالية: ويتشابه النمط العمراني في المنطقة الشمالية مع المنطقة الوسطى وخصوصاً في المناطق المنبسطة الصحراوية الذي يعتمد على الطين، كما يمتاز النمط العمراني في المناطق الساحلية على مادة الحجر وتتشابه إلى حد ما مع نمط غرب المملكة.

- هوية المنطقة الغربية (المناخ الحار الرطب) : ويمتاز طراز التراث المعماري في المنطقة الغربية باستخدام الحجر في البناء وتتعدد أدوارها، كما يقوم النسيج العمراني أساساً على وجود الفراغات العمرانية الممثلة بالأزقة والشوارع التي تتميز بوجود الساحات في نهايتها، كما تعد الرواشين والمشربيات من أهم العناصر الجمالية التي يتميز بها الطابع المعماري في المنطقة. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ١٤٣٤هـ)

- هوية المنطقة الشرقية (المناخ الحار الرطب) : ويتميز الطراز العمراني التراثي في المنطقة الشرقية باستخدام المواد المحلية كالطين والحجر والجبس في البناء وجذوع النخل للسقوف وبعض المعالجات المناخية مثل الملاقف الهوائية ، كما يتميز النسيج العمراني بكثافة الكتل المعمارية وتقاربها واتصال بعضها ببعض وتتخللها الطرقات والأزقة المتعرجة، وقد ساهم اختلاف الأنشطة في ظهور الأسواق في الممرات الكبيرة وكذلك في الساحات المجاورة والمحيطة بالمساجد التى تعتبر مراكز التجمع. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ١٤٣٤هـ)

- هوية المنطقة الجنوبية (المناخ البارد الجاف) : ويتنوع التراث العمراني في المنطقة الجنوبية وفقاً للتضاريس والمناخ ونوعية مواد البناء حيث انتشار المباني الحجرية متعددة الأدوار على المرتفعات الجبلية وهي إما متناثرة وفقاً للمصاطب الزراعية أو متلاصقة كما في كثير من القرى التراثية، أما في شرق المنطقة فيبرز استخدام مادة الطين والرقف في البناء للحماية من الامطار.

٢/٤ مفردات ملامح الهوية للمناطق المختلفة بالمملكة العربية السعودية: شكل (٤)

١/٢/٤ مفردات متعلقة بالعناصر والمكونات المعمارية:

- الخارجات: وهى أحواش صغيرة أو مساحات مفتوحة تنشأ عادة فى أعلى المبنى وتقوم بوظيفة الفناء خاصة فى المناطق الوعرة والجبال ، وجدرانها مرتفعة لتحقيق الخصوصية .

٢/٢/٤ مفردات متعلقة بالمعالجات المناخية والاجتماعية:

- الرواشين أو المشربيات: وهى مشغولات خشبية تغطى النوافذ وقد تبرز فى الواجهات بهدف تحقيق الخصوصية والتحكم فى شدة الاستضاءة وفلترة الهواء، وتغير شكلها طبقا لطبيعة كل منطقة.

- الشوابير: وهى مفرد من مكة المكرمة تستخدم فى دروة السطح وتكون من الطوب المعشق والملون ووظيفتها تحقيق الخصوصية للجالسين بالخارجة وبالاضافة الى زيادة سرعة الهواء وتقليل الاحساس بحرارة الجو.
- القمريات: وهى فتحات تكون أعلى الجدار أو أعلى الرواشين وتكون دائية أونصف دائرة، وتغطى بالزجاج الملون والمعشق وتستخدم بغرض جمالى ومناخى لدخول الهواء وتلطيف الجو الداخلى.

٥/٢/٤ مفردات متعلقة بالجانب الانشائى:

- صراحة التعبير بالعناصر الانشائية: وهى صراحة التعبير عن المواد الانشائية ومواد البناء المستخدمة الطبيعية من الحجر والطوب وطرق رصها وتعشيقها والاعتاب والكوابيل الخشبية وطريقة إتقانها .
- تدرج وردود خط القطاع الرأسي والكوابيل: ويظهر التدرج نتيجة للتعبير بالطرق الانشائية وبروز الرواشين والكوابيل ممانتج عنه ظلالاً على الواجهات الخارجية كمعالجة مناخية.

المحور الخامس : الحالة الدراسية (هوية مكة المكرمة بين التأصيل والمعاصرة):

١/٥ دراسة لمدينة مكة المكرمة : شكل (٥)

١/١/٥ الهوية المعمارية لمكة المكرمة: مكة المكرمة شرفها الله سبحانه وتعالى بأن تكون مكان ميلاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكانت بداية بزوغ فجر الإسلام الذي من الله به علينا و تحتوي مكة المكرمة من أماكن تاريخية كثيرة. كل مكان من تلك الأماكن كان شاهداً على موقف أو حدث في تاريخنا العظيم وهو أمر مرتبط بهويتنا كمسلمين، وهي غنية بتراث وطابع عمراني ومعماري أصيل مميز؛ لما تحمله من سمات ومعانٍ إيحائية روحانية، وكان أهم ما يميز الملامح المعمارية البناء بالمواد المحلية مثل الحجر والاخشاب والطين، وبعض المعالجات المعمارية المناخية مثل إستخدام الرواشين والخارجات عوضاً عن الاحواش والافنية فى المناطق المنبسطة. (الهيئة العامة للسياحة والتراث، ٢٠١٢).

ونظراً للتدرج الجبلى الحاد وقلة تنوع مواد البناء خاصة حول الحرم المكى الشريف فأنتجت عمارة محلية ذات طابع مميز.

وبعد التعرف على الطابع العام لمكة المكرمة والذى أصبح سمة من سمات المنطقة واعطى للمحيط الحضرى للحرم المكى طابعاً محلياً، ظل المحيط الحضرى للحرم المكى محافظاً على هذا طابع المعمارى العام لفترات طويلة نظراً للطبيعة الجبلية المحيطة.

٢/١/٥ الوضع الراهن للعمارة فى مكة المكرمة : شكل(٦)

ومع بداية الطفرة الاقتصادية في بداية السبعينات الذي انعكس أثره على جميع المجالات ، ومنها المجال العمراني الذي شهد نمواً سريعاً غلبت عليه أنماط معمارية مستوردة ، وفي خضم هذا التوسع الهائل والنمو العمراني المتزايد لمكة برزت أنماط معمارية بعيدة كل البعد عن معطيات البيئة الطبيعية (ابراهيم،١٩٨٦) ، أو القيم والخلفية التاريخية والاجتماعية والدينية والاقتصادية للسكان ، وقد أدى استبدال مواد البناء المحلية بالمتطورة المستوردة ، واستخدام الأساليب العصرية في البناء إلى إيجاد بيئة معمارية وحضرية جديدة قد لا تتوافق مع الظروف المكانية ذات الخواص الروحانية، فظهرت الأبنية المستنسخة من الخارج ، وحدث تحور في البيئة التكوينية الجبلية المحيطة بالحرم الشريف، من إزالة وتغيير في معالمها خاصة مع إزالة جبل خندمة وجبل عمر وخاصة مع التوسعات الخاصة بالحرم المكى ، وبذلك فقدت المدينة خصائصها الأصيلة . ومع التطور العمرانى حدثت تحولات كبيرة غيبت التراث الحضاري الأصيل بكل خصائصه الوظيفية والبيئية والجمالية، وإستخدام الطوب والخرسانة والواجهات الزجاجية فى البناء.

٣/١/٥ الرفع الميدانى لهوية المبانى المحيطة بالحرم المكى (الباحثان ٢٠١٨) : شكل (٧)

النتائج:

فى العقود الاخيرة ظهرت عدة محاولات لتبنى الحفاظ على الهوية المعمارية بالمحيط الحضرى للحرم المكى ولكنها تعددت وإختلفت وجهات النظر حول طرق الحفاظ على هذه الهوية ونتج عن الدراسة تقييم لمحاولات تأصيل الهوية المعمارية للمحيط الحضرى للحرم المكى من خلال محاولات إحياء إتجاه العمارة التقليدية الجديدة فى قصر الضيافة، واتجاه المعاصرة مع الانتماء تاريخياً فى فندق هيلتون مكة شكل(٨)، وإتجاه المعاصرة مع الانتماء محلياً فى أبراج جبل عمر وفندق حياة ريجينسي شكل(٩)، وخليط بين عمارة مابعد الحداثة العمارة التقليدية المحافظة كما فى مبانى وقف الملك عبد العزيز أبراج البيت وبرج الساعة.

تصنيف وحصر المبانى التى تشكل المحيط العمرانى للحرم المكى من حيث نسبة الانتماء الى هوية معينة. جدول(١)، شكل (١٠).

الخلاصة:

١- تعريف الهوية والاصالة والمعاصرة لابد ان يكون راسخا فى عقل كل معمارى حتى يتم تناولها بطريقة صحيحة وملائمة لكل منطقة طبقا لعاداتها وتقاليدها ومناخها وبيئتها التى تميزها، فهناك علاقة وثيقة الصلة بين الثقافة والمجتمع والعمران، وهى تعبر عن الهوية الثقافية للمجتمع.

٢- للمملكة العربية السعودية ارث غنى من المبانى التى تحمل هويه مناطقها وظهر ذلك على عمارتها ، كما أثرت الظروف الطبيعية القاسية لمكة المكرمة على طابعها المعماري تأثيراً كبيراً ، حيث ان سكان مكة عبارة عن خليط من جميع أبناء العالم ، فنتج عن هذا الخلط اختلاط جميع عاداتهم وتقاليدهم وأشكالهم ، لكنهم توحدوا فى هويه اسلامية وحدت عمارتهم واصبح لها طابع وهوية تقليدية كانت نتاج انصهار ثقافات وخبرات واحتياجات كافة المسلمين المنحدرين من جميع أقطار العالم الإسلامي والذين توافدوا على المدينة المقدسة وسكنوا وعاشوا بها ، فأصبحت مكة المكرمة ذات طابع مميز وفريد.

٣- للحرم المكي الشريف تأثير بالغ الأهمية على هوية عمارة مكة التقليدية ، وينقسم هذا التأثير إلى:

أ . تأثير غير مباشر: وذلك من حيث التفاف المباني حوله ، ومحاولة تصميمها وتصميم الشوارع والممرات بحيث تطل جميعاً عليه ، وكذلك تصميم البيت المكي التقليدي بحيزاته وتحقيق خصوصيته وبحيث يمكن فصل جزء منه لتأجيره للحجاج والمعتمرين ، لعدم وجود فنادق ومساكن خاصة بهم سابقاً.

ب. تأثير مباشر : عند حدوث توسعة للمسجد الحرام يكون ناتجاً عنها هدم وإزالة للمباني التقليدية المحيطة به ، ونظرا لأهمية الأرض المحيطة ارتفاع سعرها ، وأدى ذلك إلى قيام المستثمرين بهدم المباني التقليدية ذات الارتفاعات المنخفضة ، وأقاموا أبراج سكنية وفنادق ، ولها من التصميم والطابع المعمارى من الحداثة التى لا تمت بصله بالعمارة التقليدية للمدينة وهويتها.

٤ – حدثت عدة محاولات بعضها ناجحة نوعاً ما في محاولة تأصيل الطابع المعماري المكي في العمارة المعاصرة وامكن تصنيف هذه المحاولات وتحليلها.

التوصيات:

١- تفعيل دور وزارة الشئون البلدية والقرية فى الحفاظ على الهوية العمرانية بمدن المملكة وخاصة مكة المكرمة.

٢- وضع استراتيجية عمرانية ومعمارية طبقا لرؤية المملكة ٢٠٣٠ من خلال الحفاظ على التراث العمرانى والمعمارية.

٣- ارساء مشروع تأكيد الهوية العمرانية لإثراء الصورة الذهنية للهوية الاسلامية ومعالجة التشوهات البصرية للمدن وخاصة مكة المكرمة ، مع الاخذ فى الاعتبار وضع الصلاحيات اللازمة لادارة وتوجيه ومتابعة برامج التطوير والانشاءات المستحدثة

٤- تطوير اللوائح المنظمة لتصميمات المبانى وتحديد مراحل وآلية العمل بمشروعات الحفاظ على التراث والهوية الاسلامية.

٥- ضرورة وضع التشريعات وقانون حاكم ينظم علاقة المباني مع هوية المدينة وخاصة مدينة مكة المكرمة .

٦- التوجيه للمكاتب الاستشارية بالعمل على تأصيل التراث والهوية وإبراز مضمون الهوية ووظائف سماتها لتحقق المتطلبات الوظيفية والانشائية والمناخية والاجتماعية والثقافية بما يحقق استدامتها .

٧- على معاهد التدريس والجامعات تعميق الإحساس بالتراث المعماري في براعم المعماريين مع اقتراح منظومة استعادة المكانة المعمارية وهويتها من خلال إعداد جيل يحقق تقدير الماضي ، وفهم الحاضر ، والنظر إلى المستقبل.

٨- التأصيل والحفاظ على الهوية ليس هو تقليد الماضى فى واجهاته وشكله فقط ولكن تأصيل لروحه بدراسة متعمقة بالمتطلبات الوظيفية، فالشكل يتبع المضمون، و يجب على المعماريين الإطلاع على كل جديد في مجال تكنولوجيا البناء ، ودراستها و تطبيقها ومواءمتها مع مفردات الواجهات وتطور الأساليب المناسبة لتنفيذ هذه المفردات بشكل عصري.

٩- يجب رصد ميزانيات مناسبة لعمل دراسات جادة ومنظمة لتوثيق المفردات المعمارية العربية المتميزة ، وذلك بالتنسيق بين جهات البحث المعمارية في الدول العربية لتوحيد جهودها بهدف وضع مواصفات لهذه المفردات وتصنيفها في موسوعة أو مرجع معماري موحد.

الأشكال والجداول:

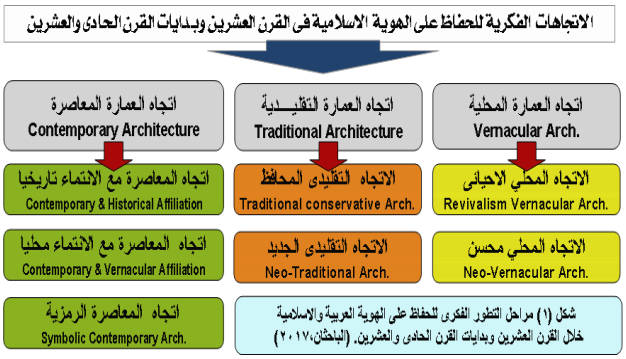

شكل (١) مراحل التطور الفكرى للحفاظ على الهوية العربية والاسلامية خلال القرن العشرين وبدايات القرن الحادى والعشرين. (الباحثان،٢٠١٧)

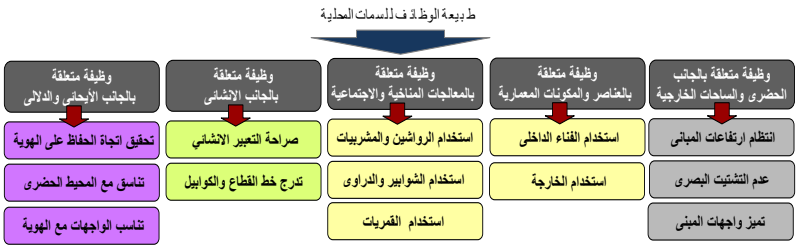

شكل (٢) طبيعة الوظائف لسمات المفردات المحلية والتى تجعلها بالاهمية لإستدامة الهوية.

ملامح تأثير هوية المناطق الحارة الجافة (المنطقة الوسطى)

ملامح تأثير هوية المناطق الحارة الرطبة (المنطقة الغربية)

ملامح تأثير هوية المناطق الباردة الممطرة (المنطقة الجنوبية الشرقية)

ملامح تأثير هوية المناطق الباردة الجافة (المنطقة الجنوبية)

شكل (٣) تعدد وإختلاف الطابع العام مع ثبات الهوية للمناطق المختلفة للمملكة العربية السعودية.

الرواشين الخارجات الشوابير القمريات التعبير الانشائى التدرج والردود

شكل (٤) مفردات ملامح الهوية للمناطق المختلفة بالمملكة العربية السعودية.

عناصر التشكيل المعمارى لمدينة مكة			التكوين المعمارى السائد لمدينة مكة
الفتحات	النوافذ	نوافذ خشبية ذات فتحات ضيقة لتحقيق الخصوصية ، بها قلاليب متحركة يمكن التحكم بها للاضاءة والتهوية المناسبتين	
	الرواشين	بأحجام كبيرة ، وتكون بارزة عن المبنى ، وبها زخارف جميلة ومتعددة ، ومن الداخل يمكن الجلوس بها.	
	المداخل	ذات أشكال متعددة ، وبأحجام متفاوته وبها زخارف من الجبس أو الحجر ، كما أن الأبواب مزخرفة أيضا.	
	العقود	ظهرت بأشكال مختلف ، حيث ظهرت العقود المدببة والنصف دائرية وغيرها ، ولكن المدببة هي الأكثر انتشارا .	
العناصر التكميلية	الزخارف	زخارف متنوعة من الجبس والخشب والحجر وحتى الحديد ، وهي نباتية ذات طابع عربي وهندي وآسيوي و غيرها.	
	الحليات	حليات متنوعة من الجبس والخشب والحجر وحتى الحديد ، وهي نباتية ذات طابع عربي وآسيوي و غيرها.	
	الشوابير	الشوابير الموجودة في الدراوي أعطتها جمالاً ميزها عن غيرها من العمائر ، مشغولات حديدية ، كوابيل الرواشين ، عرايس السماء ... إلخ.	
التكوين العام للواجهات	خط السماء	تميز خط السماء بالتدرج على مستوى المبنى الواحد وعلى مستوى المدينة ككل ، وكان هذا بسبب تأثير طبيعة الأرض.	
	المسدود والمفتوح	نسبة المفتوح إلى المسدود كبيرة جدا ، ومغطاة بالرواشين للخصوصية ، وكان ذلك للإضاءة والتهوية	
	خط القطاع	تميز خط القطاع ببروز كل دور عن الدور السفلي بمقدار ضئيل.	
	مواد البناء والانشاء	استخدمت الأحجار المحلية كمادة بناء أساسية . ومن الأحجار المستخدمة ، الحجر ال شبيكي الأسود ، الحجر الشميسي ، وغيرها من الأحجار المحلية الأخرى	
	الملمس واللون	تميزت العمارة المكية التقليدية بالملمس الخشن ، نظرا لاستخدام المواد الطبيعية كما هي بدون إخفائها ، حيث اختلف الملمس ، من ملمس الحجر إلى الخشب إلى الآجر إلى البياض المستخدم فيه النورة.	

شكل (٥) عناصر التشكيل المعمارى المحدده للهوية المعمارية لمدينة مكة المكرمة

شكل (٦) ضياع الهوية المحلية والتاريخية للمبانى المحيطة وخاصة بالمحيط الحضرى للحرم المكى

شكل (٧) الرفع الميدانى لهوية المبانى بالمحيط الحضرى للحرم المكى الشريف .(الباحثان،٢٠١٨)

جدول (١) تصنيف للانتماء الفكرى للمبانى بالمحيط الحضرى للحرم المكى. (الباحثان،٢٠١٨)

المبانى المكونة للمحيط الحضرى للحرمين الشريفين	المحيط الحضرى للحرم المكى	
عدد المبانى الاتجاة الهوية (التقليدى المحافظ)	٣	%١٣,٧
عدد المبانى ذات الهوية (التقليدى الجديد)	٣	%١٣,٧
عدد المبانى (المعاصرة والانتماء تاريخياً)	١	%٤,٥
عدد المبانى (المعاصرة والانتماء محلياً)	٤	%١٨,١
عدد المبانى (اتجاه عالمى)	١١	%٥٠,٠
اجمالى المبانى التى تشكل المحيط العمرانى	٢٢	%١٠٠

شكل (٨) محاولات تأصيل الهوية المعاصرة مع الانتماء تاريخياً

شكل (٩) محاولات تأصيل الهوية والمعاصرة مع الانتماء محلياً

شكل (١٠) تصنيف هوية المبانى بالمحيط الحضرى للحرم المكى.(الباحثان،٢٠١٨)

المراجع:

- ابراهيم، عبد الباقى (دكتور) (١٩٨٦) - تأصيل القيم المعمارية – مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية – القاهرة – ج.م.ع

- ابراهيم، عبد الباقى (دكتور) (١٩٨٧) - المنظور التاريخى للعمارة فى المشرق العربى - القاهرة - مركز الدراسات التخطيطية - ج.م.ع

- الباحثان، (محمد وهبة ، محمد عاطف) (أ.د) (٢٠١٧) محاضرات مقرر مقومات البيئة العمرانية للمدينة الاسلامية المعاصرة - قسم العمارة الاسلامية - كلية الهندسة والعمارة الاسلامية جامعة أم القرى مكة المكرمة.

- الهنسي، عفيف - دكتور (١٩٩٨) - ما بعد الحداثة والتراث في العمارة العربية الإسلامية- عالم الفكر- الكويت.

- الهيئة العامة للسياحة والتراث ،(١٤٣٤هـ-٢٠١٢م) - مراكز المدن التاريخية فى المملكة العربية السعودية - ملتقى التراث الوطنى .

- جوابرة، د.م. معين قاسم (٢٠٠١) - الهوية المعمارية في الثقافة العمرانية- - كلية الهندسة والتكنولوجيا جامعة بيرزيت-غزة فلسطين

- ذنون، أحمد عبد الواحد (دكتور) (٢٠١٠) قسم الهندسة المعمارية- جامعة الموصل - السمات المحلية في العمارة الإسلامية - المؤتمر المعمارى الثالث - التواصل الفكري بين النظرية و التطبيق- الجامعة التكنولوجية - بغداد - العراق.

- سامي عبدالله المغلوث (٢٠١٤) - أطلس الحج والعمرة (تاريخا وفقها)- الطبعة الثانية - العبيكان للنشر- المملكة العربية السعودية

- عفيفى ، أحمد كامل (١٩٨٢) - المدينة العربية - دار الفكر العربى للعلوم الإنسانية - معهد الإنماء العربى السنة الرابعة - القاهرة.

- AL-NAIM , Mashary Abdullah (1998) " Potentiality of the Traditional House" The G.C.C Folklore Center , Doha - Qatar.

- CORREA, Charles (1990), "Quest for Identity", University of Cambridge, UK. p. 23

- DABAIEH, Marwa (2015), "More than vernacular- Vernacular Architecture between past tradition and future vosion" Editor Jamina Kallas , Published by bookshop , Stockholm, Sweden.

- FADAN , Yousef (1983), "Traditional Houses Of Mekkah, The Influence Of Socio – Cultural Themes Upon Arab Muslim Dwelling". Islamic Architecture And Urbanism, King Faisal University, Dammam, Saudi Arabia. (1403 – 1983)